مصطلح العَلمانية وخيانة الترجمة
ـ قراء دلالية نقدية ـ

بقلم
أ/ عمر بوقمرة (*)

ملخص

سنتعرض في هذه الدراسة لمصطلح العَلمانية؛ وهو مصطلح غربي وفد على المعاجم العربية حديثا عبر الترجمة، وقد وقع اختيارنا له لأهميته في حياة المسلمين، ولما وقع فيه من الخيانة في الترجمة، والتلبيس في الدلالة، وذلك يجافي روح الأمانة العلمية والموضوعية التي يقتضيها البحث العلمي في شتى المجالات؛ . لتكون أهم نتائج البحث هي سوء الترجمة عي المستويين اللفظي والدلالي؛ وسبب ذلك خيانة المترجم وسوء نيته؛ وذلك لما علموا أن معنى العلمانية تمجّه الحضارة العربية الإسلامية عمدوا إلى تحريفه علّه يروج على عوام الناس.

الكلمات المفتاحية: العلمانية؛ الترجمة؛ الدلالة؛ التطور الدلالي؛ المصطلح.

مقدمة

العلمانية مصطلح غربي له مميزاته الدلالية، وخصائصه الحضارية، وفد على المعاجم العربية حديثا عبر الترجمة، والمتأمل لهذه الترجمات يلفيها اجتهادات فردية، ومبادرات شخصية، بعضها راعى الخصوصيات الثقافية فأحسن الترجمة، وبعضها الآخر أغفلها عمدا وجهلا؛ فجاءت مُخَدَّجة؛ وللدلالات الأصلية مُحرِّفة، وهو من الخيانة الدلالية

(*) أستاذ باحث، بقسم اللغة العربية، كلية الآداب والفنون، جامعة حسيبة بن بوعلي ـ الشلف.
Dr.bouguemra@gmail.com.

تاريخ الإرسال: 09-08-2017 / تاريخ القبول: 2018/06/18

التي يجب أن يتطهر منها المترجم والترجمة، ومجافاة لروح الأمانة العلمية والموضوعية التي يقتضيها البحث العلمي في شتى المجالات، ومعلوم لدى المتبصر ما لذلك من أثر في تكوين وتوجيه الرأي العام للمسلمين، وهذه الدراسة تجتهد في الإجابة عن السؤالات التالية:

– ما العلمانية؟ وما مفهومها في المعاجم الغربية والعربية؟

– وما مدى صحة ومطابقة الترجمات العربية لهذا المصطلح على المستويين اللفظي والدلالي؟

– وهل من سبيل لرأب صدع الخيانة فيها؟

وجلي من هذه الأسئلة أن **هدف** البحث هو كشف زيغ هذه الترجمة وخيانتها من حيث المصطلح والدلالة معا، وبيان وجه الحق فيها.

وقد جمعت فيها بين **بضعة مناهج** اقتضاها البحث، وهي: المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي، والمنهج المقارن.

فبالأول نتتبع الدلالة وتطورها، والمصطلح وتغيره؛ وبالثاني نقف على الدلالة والمصطلح في الحضارة الغربية مهدهما الأول، وفي الحضارة العربية الإسلامية مهجرها؛ وبالثالث نقف على مدى التطابق بين الدلالة الأصلية الغربية، والدلالة العربية الترجمية؛ ومن ثم صحة الترجمة من خطئها؛ لتكون **أهم نتائج البحث** هي سوء الترجمة عي المستويين اللفظي والدلالي؛ وسبب ذلك خيانة المترجم وسوء نيته؛ وذلك لما علموا أن معنى العلمانية تمجّه الحضارة العربية الإسلامية عمدوا إلى تحريفه علّه يروج على عوام الناس.

أما بالنسبة للدراسات السابقة فهي كثيرة، ولكن لا أعلم بحثا بهذا العنوان بالذات؛ والملاحظ على تلك الدراسات أنها جاءت شرعية صرفة، بخلاف هذا البحث الذي

حاولت فيه الجمع بين الشريعة واللغة، ومن تلك الدراسات:

- مذاهب فكرية معاصرة: محمد قطب.
- الإسلام والعلمانية وجها لوجه: يوسف القرضاوي.
- العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة: عبد الوهاب المسيري.
- العلمانية، نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة: سفر بن عبد الرحمن الحوالي.
- بين الأصالة والتغريب في الاتجاهات العلمانية عند بعض المفكرين العرب المسلمين في مصر: حسن سعد.

وللإجابة عن إشكالية البحث اتبعت الخطة التالية:

مقدمة • العَلمانية في العالم الغربي• العلمانية في العالم العربي • لالترجمة المضللة على المستوى اللفظي• الترجمة المضللة على المستوى الدلالي • أقسام العلمانية وخدعة الاعتدال • خاتمة.

تمهيد

إننا نعيش في زمن تقاربت فيه المسافات؛ حتى صار العالم قرية كونية كبيرة؛ بفضل ما تقدمة الثورة التكنولوجية الحديثة من وسائل التواصل المختلفة؛ ما أعطى حرية مطلقة للمصطلحات تسبح أنّى شاءت، وصار يتوافد علينا – طوعا وكرها- كم هائل من المصطلحات الغربية الحديثة، وكثر استعمالها حتى ظن كثير من المسلمين أنها عربية المنشأ إسلامية المفهوم، وهي ليست كذلك، ومنها مصطلح العَلمانية الذي ظهر في أوروبا منذ القرن السابع عشر الميلادي، ثم انتقل إلى الشرق بداية القرن التاسع عشر الميلادي عبر الترجمة؛ فهو مصطلح أوروبي النشأة والفكرة، وهذا البحث يجتهد في ضبط أصل معناه الذي اشتق منه في اللغة الإنجليزية، ومفهومه الذي درجت عليه المعاجم الغربية، ثم نعرج على المعنيين اللغوي والاصطلاحي في المعاجم العربية

الحديثة؛ لنقف على مدى صحة الترجمة وسلامة الفهم، أو سوء الترجمة وضلالة الدلالة.

1) العَلمانية في العالم الغربي :

1.1) لغة: "كلمة "عَلمانية" ترجمة لكلمة SECULARISM الإنجليزية التي لها نظائر في اللغات الأوروبية، وهي مشتقة من الكلمة اللاتينية SAECULUM، وتعني "العصر"، أو "الجيل"، أو "القرن".

أما في لاتينية العصور الوسطي فإن الكلمة تعني "العالم"، أو "الدنيا"(مقابل الكنيسة)، ويوجد لفظ لاتيني آخر للإشارةإلى العالم، وهو (موندوس MUNDUS)، ولفظة "سيكولوم" مرادفة للكلمة اليونانية "أيون AEON" التي تعني "العصر". أما "موندوس" فهي مرادفة للكلمة اليونانية "كوزموس COSMOS" التي تعني الكون، ومن هنا فإن كلمة "سيكولوم" تؤكد البعد الزماني، أما "موندوس" فتؤكد البعد المكاني"[1]، وقد استعمل المصطلح SECULAR لأول مرة مع نهاية حرب الثلاثين[2] عام 1648م، عندما تم توقيع صلح وستفاليا، وبداية ظهور الدولة القومية، أي الدولة العَلمانية، وهو التاريخ الذي يعتمده معظم المؤرخين بدية لنشوء ظاهرة العلمانية في الغرب[3].

ورد في المعجم الدولي الثالث الجديد ما يلي: "العلمانية: الدنيوية هي وجهة النظر . في الحياة أو أي قضية خاصة – المرتكزة على أن الدين أو الاعتبارات الدينية يجب أن تهمل أو تستثنى عن قصد، أو هي نظام من التقاليد الاجتماعية يعتمد على أساس أن القواعد الأخلاقية والسلوك يجب ألا تحدد بشكل كامل بالرجوع إلى الدين، والعلماني: الدنيوي: هو الشخص الذي يتبع الدنيوية ويدعو إليها..."[4].

وجاء في معجم أوكسفورد شرحا للمادة نفسها ما يلي:

1. دنيوي، أو مادي، ليس دينيا ولا روحيا: مثل التربية اللادينية، الفن أو الموسيقى

اللادينية، الحكومة المناقضة للكنيسة.

2. الرأي الذي يقول أنه لا ينبغي أن يكون الدين أساسا للأخلاق والتربية "[5].

وهكذا يتبين أن لفظة SECULARISM تعني: العالم والدنيا في مقابل الكنيسة، وهذا التقابل ليس بريئا إذ إنه يتخذ علاقة تناقضية بين الدين والدنيا عموما، وبين المسيحية والدنيا خصوصا، فهي تعني كل ما ليس دينيا ولا روحيا، وبعبارة أوضح تعني قيام حياة الفرد والمجتمع على أساس غير ديني وفي كل مناحيها، وهذا يعني إقصاء الكنيسة من أي تدخل في شؤون المجتمع.

1-2) اصطلاحا: لقد أفصحت الدلالة المعجمية عن المعنى الاصطلاحي؛ ذلك أن وشائج القرابة الدلالية بينهما لا تكاد تخفى على بصير، ومع ذلك سنورد بعض التعريفات الاصطلاحية الغربية لمفهوم العلمانية تماشيا مع حدود العنوان، وتجنبا للخلط بين ما هو غربي وما هو عربي[6]، وقد جاء في دائرة المعارف البريطانية: "بأنها حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها... ثم تطورت باستمرار كحركة مضادة للتدين والدين المسيحي على وجه الخصوص"[7].

وعرفها المعجم الدولي الثالث الجديد: "بأنها اتجاه في الحياة يقوم على مبدأ أن الدين والاعتبارات الدينية يجب ألا تتدخل في الحكومة... والعلمانية نظام اجتماعي في الأخلاق؛ مؤسس على فكرة وجوب قيام القيم السلوكية والأخلاقية على اعتبارات الحياة المعاصرة والتضامن الاجتماعي دون النظر إلى الدين"[8].

ويقول المستشرق الفرنسي "أربري" في كتابه "الدين في الشرق الأوسط": "إن المادية العلمانية، والإنسانية، والمذهب الطبيعي، والوضعية، كلها أشكال لادينية، واللادينية صفة مميزة لأوروبا وأميركا، ومع أن مظاهره موجودة في الشرق الأوسط فإنها لم تتخذ أي صبغة فلسفية أو أدبية محددة، والنموذج الرئيسي لها هو فضل الدين

عن الدولة في الجمهورية التركية"[9].

وجاء في معجم علم الاجتماع المعاصر: "علماني: دنيوي، غير روحي، غير ديني، والعلماني هو العقلاني، أو النفعي... والعلمانية: هي منظومة كاملة واضحة، ورؤية شاملة للكون ترفض الإيمان بالآخرة والغيبيات... ولها أخلاقياتها المبنية على العقلانية والنفعية[10].

إن المتأمل لهذه التعريفات يستنتج أن العلمانية حركة اجتماعية تهدف إلى صرف اهتمام الناس عن الآخرة إلى متاع الدنيا، ذلك أنه كان لدى الناس في العصور الوسطى رغبة جامحة في العزوف عن الدنيا، والإقبال على الآخرة والتأمل فيها، وقد نجحت في ذلك وظهرت نتائجها في عصر النهضة؛ ساعد على ذلك طغيان الكنيسة وإشعالها لحروب دينية طائفية ارتكبت فيها مجازر فظيعة آخرها حرب الثلاثين عاما، يضاف إلى ذلك سيطرتها على الحكم، ومحاربتها للعلم؛ ولذلك عندما قامت الثورة الفرنسية (1789-1799م) ضد الملكية والإقطاعية كان شعارها: "اشنق آخر ملك بأمعاء آخر قسيس"[11].

وهنا يمكن أن نقول أنها تحولت إلى حركة اجتماعية سياسية لأنها صارت تنادي بنمط معين من نظام الحكم لاحظّ فيه للاعتبارات الدينية، وهذا ما اشار إليه التعريف الثاني بعبارة "أن الدين والاعتبارات الدينية يجب ألا تتدخل في الحكومة"، بل ينبغي أن تقوم الحياة على العقلانية النفعية التي ترفض الإيمان بالآخرة، وتدعو إلى اعتماد نظام أخلاقي اجتماعي يرتكز على قانون يقول: "بأن المستويات الأخلاقية والسلوكيات الاجتماعية يجب أن تحدد من خلال الرجوع إلى الحياة المعاشة، والرفاهية الاجتماعية، دون الرجوع إلى الدين"[12]،كما نلاحظ أن كل التعريفات تجمع على رفض الدين ومعاداته، وإن كانت العبارات مختلفة لفظا فهي متفقة دلالة، "فصرف الناس عن الاهتمام بالآخرة"[13]رفض وعداوة للدين، وبناء القيم السلوكية والأخلاقية "على

اعتبارات الحياة المعاصرة والتضامن الاجتماعي دون النظر إلى الدين"[14] معاداة ورفض له، و"اللادينية"[15] عبارة تناقض الدين جملة وتفصيلا.إذن هي "منظومة كاملة، ورؤية شاملة للكون"[16] أو الحياة تستبعد وتتجاهل كل ما هو ديني من كل مجالات الحياة، من سياسة، واجتماع، واقتصاد ، وإدارة، وغيرها، لا تستثني شيئا؛ وعليه يمكن القول: إن العلمانية في المفهوم الغربي تعني "فصل الدين عن الحياة" لا فرق في ذلك بين الفرد والمجتمع كله، لا كما يشاع بأنه "فصل الدين عن الدولة" الذي هو بعض العلمانية لا كلها.

2) العلمانية في العالم العربي :

2-1) لغة: لم يوجد لفظ العلمانية في معاجم اللغة العربية القديمة لأنه تعبير محدث، وقد ورد هذا المصطلح لأول مرة في معجم ثنائي اللغة، (فرنسي – عربي) من تأليف أحد تراجمة الحملة الفرنسية واسمه "لويس بقصر المصري"، وقد طبع الجزء الأول منه في شهر مارس من عام 1828م، ثم دخل بعد ذلك إلى اللغة العربية، وكان المعجم الوسط الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة أول معجم عربي يورد هذا المصطلح[17] قائلا:العلمانية نسبة إلى العَلْم بمعنى العالم. وهو خلاف "الديني أو الكهنوتي"[18]. ولئن أقررت آنفا بخلو المعاجم العربية القديمة من مصطلح العلمانية فإن ذلك لا يعني خلو بعضها من جذور مادة هذا المصطلح، فقد ورد في القاموس المحيط للفيروزآبادي تحت فصل العين باب الميم في مادة (ع،ل،م): والعَلْم والعالم، الخلق كله، أو ما حواه بطن الفلك"[19].

2-1-1) الترجمة المضللة على المستوى اللفظي:

يبدو مصطلح العلمانية لأول وهلة أنه كلمة عربية اشتقت من كلمة العِلم، فهي اسم منسوب، و إذا كان الاسم المنسوب صفة "ففي النسبة إليه معنى المبالغة في

الصفة، وذلك أن العرب إذا أرادت المبالغة في وصف شيء ألحقوا بصفته ياء النسب، فإذا أرادوا وصف الشيء بالحمرة قالوا : "أحمر"، فإذا أرادوا المبالغة في وصفه بالحمرة، قالوا:"أحمري"[20]؛ وبناء على هذه القاعدة فإن كلمة "علمانية" هي اسم منسوب وهو صفة تفيد المبالغة في الاهتمام بالعلم والعماء، ولا اعتراض على هذا المعنى – لو كان صحيحا– من وجهة شرعية إسلامية، فأول ما نزل من القرآن الكريم يحث على التعلم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾[21]؛ ثم إن زيادة الألف والنون في الاسم المنسوب غير قياسية في اللغة العربية، "وإنما جاءت سماعا ثم كثرت في كلام المتأخرين مثل قولهم: "رُقْباني، وشَعراني، وجُمَّاني، ولِحياني" للعظيم الرقبة، والشعر، والجُمّة، واللحية"[22]. فهو إذن من شواذ النسب، ومع ذلك يمكن أن نتسامح لغويا ونقول: إن ذلك يسوغ في عرف طائفة من اللغويين المحدثين دعاة التيسير اللغوي، ومنهم أحمد مختار عمر إذ يقول في معجمه "الصواب اللغوي": هو رجل عَلماني [فصيحة] قاعدة النسب تقتضي زيادة الياء المشددة على المنسوب إليه دون تغييرات أخرى، ولكن وجدت كلمات كثيرة نسبت العرب إليها بزيادة الألف والنون، مثل: "شعراني"، وعلى هذا فلا مانع من استعمال كلمات أخرى استخدمت في العصر الحديث بزيادة الألف والنون مثل: "عَلماني"، و"عَقلاني"[23].

ولئن كان بإمكاننا أن نتسامح مع الانحراف اللغوي الشكلي (الشذوذ) فلا يمكننا أن نغض الطرف عن الانحراف الدلالي، ففرق جلي بين النسبة إلى "العِلم" بالكسر وبين "العَلْم" بالفتح، فعلى الرغم من اشتهار النطق بكسر العين فإن ذلك لا يغير من الحقيقة اللغوية شيئا، فما دام أن المصطلح وافد على معاجمنا العربية فإن مدلولها سواء أكسرت عينها أم فتحت يبقى عصيا على التضليل والتبديل، فحينما "ينتقل مصطلح مثل "علمانية" من معجم حضاري إلى معجم حضاري آخر وتتم "ترجمة" المصطلح، فإنه يظل يحمل آثارا قوية من سياقه الحضاري السابق الذي يظل مرجعية صامتة

له"[24]؛ ومن هنا كان ينبغي أن يتمحور البحث في مناقشة أحسن الترجمات العربية لكلمة "SECULARISM" وأقربها إلى المعجم الغربي وأكثرها دقة"[25]، وهي: الدنيوية، والزمنية، والمادية، والمدنية، واللاتينية، واللاروحية، والوضعية، واللائكية[26]، وغيرها من العبارات، وهي كلها تجتمع على مناقضة الدين واستبعاده من الحياة كلها. "فلا شك أن الربط بين العلمانية وبين معنى "العالم" أدق من الربط بينها وبين العلم"[27].

وقطعا لدابر هذا التداخل الدلالي سأورد هذين الأصلين "العِلم" و"العَلْم" ومشتقاتهما في اللغتين الإنجليزية والفرنسية.

فقد ورد في معجم اللغات ما يلي:

- دنيوي، زمني، عالمي، قرني، غير ديني. SECULAR
- دنيوية عَلمانية. SECULARISM
- دنيوي: متعلق بالدنيوية. SECULARIST
- دنيوية، عَلمانية، عالمية. SECULARITY
- دنوية، علمنة. SECULARIZATION
- علمن، دَنْوَيَ[28]. SECULARIZE

وورد فيه أيضا:

- علم الثقافة، معرفة، دراية، SCIENCE
- عِلمي: مدروس علميا، مبحوث علميا دقيق علميا، منسوب إلى العلم. SCIENTIFIC
- علمي، رجل علم، عالم.[29] SIENTIST

وحتى المقابل الفرنسي يحمل الدلالة نفسها:

- زمني، دنيوي، علماني LAIQUE
- علمن: استبدل الطابع الديني LAICISER

بالطابع العلماني في مؤسسة أو مستشفى، ألغي ما يتعلق بالطابع الديني.

- علمانية: دنيوية لا دينية[30]. LAICISME

فهل ترى لهما من علاقة؟ !

لقد اتضح أن مصطلح العلمانية (بالكسر) مصطلح مخادع ولا يعكس الدلالة الحقيقية الثاوية خلفه فلا صلة بينه وبين العلم البتة "كما يحاول بعض المراوغين أن يلبس على الناس، بأن المراد بالعلمانية: هو الحرص على العلم التجريبي، والاهتمام به، فقد تبين كذب هذا الزعم وتلبيسه، بما ذكر من معاني هذه الكلمة في البيئة التي نشأت فيها"[31]، وفي لغاتها التي صرحت بها، والهدف من وراء هذه المغالطة سواء عند المفكرين الغربيين المناهضين للكنيسة ورجالها، أو عند المتأثرين بهم من دعاة اللادينية في العالم الإسلامي سواء أكانوا أفرادا أو منظمات أو دولا هو جلب تأييد الناس عموما إلى هذه الحركة، لعلمهم أن الإنسان مهما كان توجهه الفكري لا يمكن أن يعارض الدعوة إلى العلم[32].

قال القرضاوي مبينا سبب هذه الترجمة: "وكان يمكن أن تترجم بلفظة "لادينية" لأن معنى الكلمة الأجنبية ما ليس بديني، وكل ما ليس بديني هو لا ديني، ولكن اختيرت "علماني" أو "مدني" لأنها أقل إثارة من كلمة لا ديني"[33]. وهكذا استطاع هذا المصطلح أن يدخل دائرة القَبول عند كثير من مثقفي المسلمين ناهيك عن عامتهم، وصرنا نسمع والتشدق به في كثير من المناسبات، وعلى شاشات معظم الفضائيات ظنا منهم أنه أمارة التقدم والتمدن القائم على العِلم الصحيح الذي لا ينكره دين صحيح، بل ما زال العلم الصحيح يفتر كل يوم عن لطائف أسرار القرآن الكريم، فليتهم يعلمون أن العلمانية تنكر الدين وتحاربه لعلهم يرجعون.

2-2) اصطلاحا: للعلمانية تعريفات عدة في المعنى الاصطلاحي منها:

1) عرفها القرضاوي بأنها: "عزل الدين عن الدولة وحياة المجتمع، وإبقائه حبيسا

في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه، فإن سمح له بالتعبير عن نفسه ففي الشعائر التعبدية والمراسيم المتعلقة بالزواج والوفاة ونحوها"[34].

2) وعرفها محمد قطب فقال: "إقامة الحياة بعيدا عن الدين، أو الفصل الكامل بين الدين والحياة".[35]

3) وعرفها جمعة الخولي بأنها: "ذلك اللفظ الخادع الذي استخدم بدلا من عبارة اللادينية، والتي تعتبر أصل الحركة التي ظهرت في أوروبا في القرن التاسع عشر الميلادي لتعبر عن وجهة نظر المنكرين لوجود الله أو الذين يفصلون بين وجود الله وتأثيره في الحياة"[36].

4) وعرفها محمد إبراهيم مبروك بأنها: "الاقتصار على العقل البشري وخبراته في إدراك الحقائق وتصريف شئون الحياة، وهو الأمر الذي يعني في الوجه المقابل له إقصاء أي مصادر أخرى وعلى رأسها الوحي المقدس في إدراك حقائق الوجود، والطريقة التي يجب انتهاجها في الحياة التي نعيشها "[37].

5) وحدّها حسين سعد بقوله: "هي منحى في التفكير ينطلق من أن للعالم بذاته وجودا مستقلا مغايرا عن وجود خالقه، وبالتالي فإن تنظيم المجتمع والدولة والثقافة يجب أن تكون من صميم العالم نفسه، مما يؤدي تلقائيا إلى تحريره من سلطات المؤسسات الدينية، من دون أن يعني ذلك إنكارا للخالق، أو نفيا للدين، والعلمنة بهذا المعنى هي تنظيم المجتمعات وفق القوانين التي يضعها العقل والعلم الإنسانيين، على مستوى السلطة، والإدارة، ونظام العمل، والاقتصاد، والتربية والزواج، وكل أوجه النشاط الإنساني"[38].

2-3)الترجمة المضللة على المستوى الدلالي:

تلك مجموعة من التعريفات أوردتها لمجموعة من المفكرين المسلمين أظنها كافية لكشف وبيان حقيقة العلمانية من وجهة نظر صحيحة على الأقل عند ذوي التوجهات

الإسلامية، أما النصارى العرب والمسلمون المفتونون بكل ما هو غربي، فقد حاولوا جاهدين تحسين صورتها عن طريق الترجمة المضللة –كما رأينا– ولكن هيهات فإن نتن الدلالة بنوعيها: اللغوية والاصطلاحية ما زال ينبعث من حُشِّها الأول هاتكا كل أستار الزيف والتحريف.

إن العلمانية ظاهرة أوروبية كنسية صرفة، أوروبية المنشأ والمحضن، مازالت تحمل نكهة بيئتها الأولى، حتى في بلاد المسلمين، وكان ينبغي على دعاتها أن ينظروا إليها نظرتهم إلى البضاعة المستوردة فيميزوا بين الغث والسمين منها، ثم يقع الاختيار والاستيراد إن دعت الحاجة –هذا في حاجة الأبدان فكيف بحاجة الأذهان– ولو أنهم هذّبوا وشذّبوا هذه المصطلحات[39] بما يبدو لهم[40] أنه يتلاءم من البيئة الإسلامية لربما كان ذلك أدعى لقبولها من جهة أبناء المسلمين وعوامهم، ولكن الواقع أنهم يتحدثون عنها على طريقة فلاسفة الغرب أمثال: فولتير ولوك وكوندروسية وغيرهم.[41] فسقط القناع، وظهر الخداع؛ وبنظرة مقارنة وعجلى بين هذه التعريفات وبين تعريفات الغربيين المسوقة سابقا يدرك ذلك التطابق الدلالي بينهما؛ وفي ذلك إشارة قوية على موضوعية وصدق هؤلاء الباحثين المسلمين وأمانتهم في الترجمة والنقل، فالعلمانية عندهم هي اللادينية، وهي عزل الدين عن حياة المجتمع وقصره في أحسن الأحوال على علاقة الفرد بربه، وإن تجاوز ذلك فإلى الشعائر التعبدية من صلاة، وصوم، وزكاة، وغيرها.

3) أقسام العلمانية وخدعة الاعتدال:

لا تتحدّد صور العلمانية وأقسامها إلا بتتبع المراحل والأشواط التي قطعتها عبر تاريخها الطويل وذلك شيء متعسر في بحث كهذا، ولكن يمكن تلخيص هذه المراحل في مرحلتين أساسيتين على أثرهما تشكلت صورتان للعلمانية وهما:

المرحلة الأولى: مرحلة العلمانية المعتدلة، وسادت في القرنيين السابع عشر والثامن

عشر، وقد "اعتبر فيها الدين أمرا شخصيا لا شأن للدولة فيه، فإن على الدولة مع ذلك أن تحمي الكنيسة، وبالأخص في جباية ضرائبها، وإن طالب التفكير العلماني في هذه المرحلة بتأكيد الفصل بين الدولة والكنيسة، فإنه لا يسلب المسيحية كدين من كل قيمة لها، وإن كان ينكر فيها بعض تعاليمها، ويطالب بإخضاع تعاليم المسيحية للعقل، وإلى مبادئ الطبيعة؛ مما نشأ عنه ذلك المذهب المعروف باسم: DEISM وهو مذهب يعترف بوجود الله كأصل للعالم، ولكنه ينكر: الإعجاز والوحي، وتدخل الله في العالم"[42].

ويمكن أن نستخلص من هذا النقل أهم مميزات هذه المرحلة وهي:

1 – الدين مسألة شخصية لا علاقة للدولة بها.

2 – على الدولة أن تحمي الكنيسة خاصة في جباية الضرائب.

3 – علمانيو هذه المرحلة لا يجردون المسيحية من كل قيمة لها مع إنكارهم لبعض تعاليمها، ويطالبون بإخضاعها للعقل ومبادئ الطبيعة؛ ونتيجة لذلك ظهر المذهب المعروف بـ:DEISM الذي يعترف بوجود الله كأصل للطبيعة، ومع ذلك ينكر الإعجاز والوحي، وتدخل الله في العالم ومن رواد هذه المرحلة نجد:

- فولتير (ت1778م) في فرنسا.
- شيفستيري (ت1713م) في إنجلترا.
- ليسنج (ت1872م) في ألمانيا.
- لوك (ت1704م) في إنجلترا.
- هوبز (ت1679م) في إنجلترا.

"لقد عرفت العلمانية الأوروبية –غير التيار المادي الملحد– تيارا مؤمنا بالله استطاع فلاسفته التوفيق بين الإيمان بوجود إله خالق للعالم، وبين العلمانية التي ترى العالم مكتفيا بذاته... وكان هذا التوفيق مؤسسا على التصور الأرسطي لنطاق عمل

الذات الإلهية... فالله في التصور الأرسطي واحد مفارق للعالم وخالق له... لكنه قد أودع في العالم والطبيعة الأسباب التي تدبرهما تدبيرا ذاتيا دونما حاجة إلى تدخل إلهي، أو رعاية إلهية فيما بعد مرحلة الخلق"[43]، فالعالم إذن مكتف بذاته عن الذات الإلهية بالأسباب المودعة فيه، وهو وحده مصدر المعرفة القابلة للبرهنة العقلية والتجريبية، مثله مثل الساعة التي أودع فيها صانعها أسباب عملها، دون حاجة لوجوده وهي تؤدي وظيفتها؛ تعالى الله عما يقول أرسطو علوا كبيرا[44].

المرحلة الثانية: وهي مرحلة العلمانية المتطرفة أو الملحدة وهي مرحلة العهد المادي، أو ما يسمى بـ"الثورة العلمانية"، وفيها استقرت في القرن التاسع عشر على الإلحاد الصريح والمجاهرة بعداء الدين بلا تحفظ. لقد ذهب "جوهان جوتليش فيشتة (1814هـ) خطوة أبعد في العلمانية، لقد نادى بسيادة العقل، وغالى في النزعة القومية الألمانية، ودعا إلى تصور يكون فيه الإنسان رب نفسه... ليمهد بأفكاره كلها إلى خطوة جديدة يمضي بها هيجل وكأنه أضاف إليها جديدا هو "الإنسان"[45].إنها مرحلة تقوم على إلغاء الدين -أي دين- إلغاء كليا والكفر بالغيبيات، وليس فصلا بين الكنيسة والدولة كما كان عليه الأمر في المرحلة الأولى، ثم اختلف فلاسفتها في المعبود الذي يحل محل الله فجعله "فيرباج" الإنسان العام و"ليس الإنسان الفرد؛ لأن الإنسان الفرد يظل دائما إنسانا أرضيا مفتقرا، ولذا يجب أن تكون جماعة العمل هي المعبود وفي مكان العبادة"[46].

ويرى "ماركس" أن هدم المسيحية مقدمة ضرورية لبناء عالم يكون الإنسان فيه سيد نفسه، ولكن لا يرفض المسيحية وحدها، بل معها يرفض كل دين كذلك، لتنتهي سيادته إلى سيادة المجتمع والدولة؛ ووضعها بالنسبة للأفراد هو وضع المعبود الخالق مع المخلوقين. أما علمانية "لينين" فتفضي إلى إلغاء المسيحية وإحلال البلشفية محلها كدين جديد، وهذا الدين يجب أن يكون في خدمة الواقع الذي هو "الحزب" الذي

سيتأثر بالعبادة عوضا عن الله وبالقداسة عوضا عن الكنيسة.[47]

وهكذا أوغل أفراخ الجناح اليساري المتطرف لمدرسة "هيجل" في علمانياتهم المتطرفة التي أجمعت كلها على إلغاء الدين وهدمه، وتفرقت في بدله بين الإنسان العام، والمجتمع والدولة، والحزب، لتأخذ مكان العبادة عوض عن الله والقداسة بدلا عن المسيحية؛ وعلى إثر هذه المتتالية تشكلت صورتان للعلمانية: أولهما علمانية اصطلح عليها بالعلمانية المعتدلة،(NON RELYIOUS) والمؤمنة، وغير الملحددة، وثنتاهما العلمانية المتطرفة، والملحدة(ANTI RELIOUS).

وفي تقديرنا أن هذه القسمة تنطوي على مغالطة كبيرة أشبه ما تكون بتلك التي بسطنا فيها القول حول ترجمة مصطلح العلمانية، فكلاهما ملحدة ومتطرفة، وإن كانت بدرجات متفاوتة في التطرف والإلحاد، فبَدَهي "أنه بالنسبة للإسلام لا فرق بين المسلمين، فكل ما ليس دينيا من المبادئ والتطبيقات فهو في حقيقته مضاد للدين، فالإسلام واللادينية نقيضان لا يجتمعان ولا واسطة بينهما"[48].

الخاتمة

وما يمكن أن يستخلص من هذه الدراسة هو أن كثيرا من المصطلحات الوافدة من الحضارات الغربية، وفي شتى مجالات العلوم خاصة الثقافية منها؛ يجب أن تخضع للاختبار والتمحيص على المستوى الدلالي معجميا واصطلاحيا، في محضنها الأول، قبل أن تصير إلى مهجرها الأخير، لنتأكد من صدق وسلامة الترجمة، وصحة الفهم، قبل أن تحصل على تأشيرة السفر، وإذن الإقامة، خاصة إذا كانت هذه المصطلحات شديدة الحساسية كما رأينا مع مصطلح العلمانية، وللإنصاف فقد يكون سبب الترجمة سوء النية كما يبدو مع مصطلح العلمانية، وقد يكون عدم مراعاة الفوارق الثقافية بين الحضارتين من قبل المترجمين الجدد؛ والنتيجة واحدة هي سوء الترجمة وخيانتها.

وأهم ما يمكن أن يوصى به في مثل هذه الحال؛ لدرء مفاسد الترجمة وتقليلها، وجلب مصالحها وتكثيرها، هو التوجه إلى العمل الترجمي الجماعي المدروس، بعيدا عن العشوائية والفردانية؛ ذلك أن ترجمة المصطلحات الثقافية تختلف عن المصطلحات العلمية الصرفة، فهي مشحونة بمميزات ثقافة الأمة المنقول عنها، التي غالبا ما تكون مخالفة لحضارة وثقافة الأمة المنقول إليها، خاصة ونحن في زمن العولمة التي تجتهد في كسر الخصوصيات الثقافية، وفرض ثقافة الآخر؛ ومن هنا تصير الترجمة المضللة طليعة للعولمة، وطابورا خامسا يعمل خفية لصالحها، فكم من ترجمة تحولت إلى فيروس قاتل لكثير من الخصوصيات الثقافية ؟! فلنكن على حذر.

ـ الحواشي والإحالات:

[1] العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة: عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة،ط1، 2002م، مج1، ص 53.

[2] هي آخر الحروب الدينية ضراوة بين الكاثوليك والبروتستانت، وقد استمرت من عام 1618م، إلى 1648م، منتهية بصلح ويستفاليا، حصلت بموجبه فرنسا على مقاطعتي الألزاس واللورين وهما مقاطعتان تابعتان لألمانيا، وقد أدت هذه الحروب إلى مذابح مريعة إذ كانت الجيوش المسيحية التي ترفع راية الصليب تذبح المسيحيين من الرجال والنساء والأطفال وتحرقهم بعد اغتصابهم. ينظر: العلمانية جذورها وأصولها: محمد علي البار، دار القلم، دمشق، ط1، 12008م، ص31.

[3] ينظر: المرجع نفسه مج1، ص53- 54

[4] أثر العلمانية في التربية والتعليم في العالم الإسلامي: محمد بن عبد العزيز السديس، بحث مكمل لمتطلبات الماجستر في التربية، جامعة أم القرى، كلية التربية، مكة المكرمة، السعودية، 1401هـ، ص1-2.

[5] العلمانية، نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة: سفر بن عبد الرحمن الحوالي، دار الهجرة، د- ط، د-ت، ص22-23.

[6] لأن استخلاصنا لمفهوم العلمانية من الدلالة المعجمية الغربية يدخله ضمن المفاهيم العربية لا الغربية.

[7] العلمانية جذورها وأصولها: محمد علي البار، دار القلم، دمشق، ط1، 2008م، ص11.

[8] العلمانية جذورها وأصولها: محمد علي البار، ص11.

[9] العلمانية جذورها وأصولها: محمد علي البار، ص11.

[10] المرجع نفسه، ص11

[11] المرجع نفسه، ص12.

[12]جدور العلمانية: السيد أحمد فرح، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط4، 1990م، ص112.

[13]التعريف الأول .

[14]التعريف الثاني.

[15]التعريف الثالث.

[16]التعريف الرابع.

[17]ينظر: موقف الإسلام من العلمانية، صلاح الصاوي،ط1، 2006م، ص05.

[18]المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط 4، 2004م، ج2، ص624.

[19]القاموس المحيط: الفيروزآبادي (العلامة مجد الدين بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرزري 729هـ-817هـ، وبهامشه تعليقات وشروح الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة للطبعة الأميرية 1301هـ، ج4، فصل العين، باب الميم، مادة (ع،ل،م) ص151.

[20] جامع الدروس العربية: مصطفى الغلاييني، مراجعة: سالم شمس الدين، ط1، 2007م، ج2، ص221.

[21] سورة العلق، الآية1.

[22] جامع الدروس العربية: مصطفى الغلاييني، ج2، ص230.

[23] معجم الصواب اللغوي، دليل المثقف العربي: أحمد مختار عمر، عالم الكتاب، القاهرة، ط1، 2008م، مج1، ص544.

[24] العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة: عبد الوهاب المسيري، مج1، ص60.

[25] ينظر المرجع نفسه، ص60-61.

[26] شاع هذا المصطلح في المغرب ولبنان في مقابل العلمانية التي شاعت في مصر والمشرق العربي لأسباب تاريخية واستعمارية.

[27] العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة: عبد الوهاب المسيري، ج1، ص61.

[28] ينظر: معجم اللغات، إنكليزي – فرنسي –عربي: جروان السابق، دار السابق للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1984م، ص1249-1250

[29] ينظر: معجم اللغات، إنكليزي – فرنسي –عربي: جروان السابق، ص1225-1226.

[30] ينظر: المرجع نفسه، ص673.

[31] العلمانية وثمارها الخبيثة: محمد شاكر الشريف، دار الوطن للنشر، الرياض، ط1، 1411هـ، ص08

[32] ينظر: أثر العلمانية في التربية والتعليم في العالم الإسلامي: محمد بن عبد العزيز السديس، ص05.

[33] الإسلام والعلمانية وجها لوجه: يوسف القرضاوي، دار وهبة، القاهرة، ط7، 1997م، ص45.

[34] الإسلام والعلمانية وجها لوجه: يوسف القرضاوي، ص45.

[35] مذاهب فكرية معاصرة: محمد قطب، دار الشروق، ط1، 1983م، ص445.

[36] الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها: جمعة الخولي، ط1، 1986م، ص91.

[37] العلمانية العدو الأكبر للإسلام من البداية إلى النهاية: محمد إبراهيم مبروك، مركز الحضارة العربية، القاهرة مصر، ط1، 2007م، ص22.

[38] بين الأصالة والتغريب في الاتجاهات العلمانية عند بعض المفكرين العرب المسلمين في مصر: حسن سعد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1993م، ص13.

[39] مثل الديمقراطية، الاستنارة ، التقدم، التمدن، التحديث وغيرها.

[40] معاذ الله أن يكون كذلك حقيقة.

[41] ينظر: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة: عبد الوهاب المسيري، ج1، ص60.

[42] الإسلام في حل مشكلات المجتمعات الإسلامية المعاصرة: محمد البهي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1981، ص16-17.

[43] الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية: محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ط1، ص19.

[44] ينظر: المرجع نفسه، ص19.

[45] المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية: عدنان علي رضا النحوي، دار النحوي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 1997م، ص45-46.

[46] الإسلام في حل مشاكل المجتمعات الإسلامية: محمد البهي، ص25.

[47] ينظر: الإسلام في حل مشاكل المجتمعات الإسلامية: محمد البهي، ص26-33.

[48] العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، سفر الحوالي، ص24.

The term secularism and deception of translation-semanticaland critical study-

Dr. Omar Bouguemra
Hassiba Ben Bouali - Chlef University
.Dr.bouguemra@gmail.com

Abstract:

We are going to study, the term secularism; a Western term came newly to the Arabic dictionaries via translation, was chosen of his importance in the lives of Muslims, and because it was translated a bad translation, and that controverts the method scientific; its honesty and objectivity required by search scientific in various fields; therefore the goal of research is detecting the treason of translation whence term and meaning together. to be the most important results is secularism has translated falsely and badly in vocalizing and meaning; and the reason for this betrayal of the translator Because they knew that the right meaning of secularism is refusedin Arab-Islamic civilization the refore they distorted it to promote the common people.

Keywords: secularism, translation, semantics, semantic evolution, term.